

مختصر ابن كثير

32 - اﻟﻰ ﺫﻯ ﺧﻠﻖ ﺍﻟﺴﻤﺎﻭﺍﺕ ﻭﺍﻟﺄﺭﺽ ﻭﺍﻧﺰﻝ ﻣﻦ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ ﻣﺎﺀ ﻓﺄﺧﺮﺝ ﺑﻪ ﻣﻦ ﺍﻟﺜﻤﺮﺍﺕ ﺭﺯﻗﺎ ﻟﻜﻢ ﻭﺳﺨﺮ ﻟﻜﻢ ﺍﻟﻔﻠﻚ ﻟﺘﺠﺮﻯ ﻓﻲ ﺍﻟﺒﺤﺮ ﺑﺄﻣﺮﻩ ﻭﺳﺨﺮ ﻟﻜﻢ ﺍﻟﻨﻬﺎﺭ .

33 - ﻭﺳﺨﺮ ﻟﻜﻢ ﺍﻟﺸﻤﺲ ﻭﺍﻟﻘﻤﺮ ﺩﺍﺋﺒﻴﻦ ﻭﺳﺨﺮ ﻟﻜﻢ ﺍﻟﻠﻴﻞ ﻭﺍﻟﻨﻬﺎﺭ .

34 - ﻭﺁﺗﺎﻛﻢ ﻣﻦ ﻛﻞ ﻣﺎ ﺳﺄﻟﺘﻤﻮﻩ ﻭﺇﻥ ﺗﻌﺪﻭﺍ ﻧﻌﻤﺔ ﺍﻟﻰ ﻻ ﺗﺤﺼﻮﻫﺎ ﺇﻥ ﺍﻟﺒﻨﺎﺱ ﻟﻈﻠﻮﻡ ﻛﻔﺎﺭ .

ﻳﻌﺪﺩ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻧﻌﻤﻪ ﻋﻠﻰ ﺧﻠﻘﻪ ﺑﺄﻥ ﺧﻠﻖ ﻟﻬﻢ ﺍﻟﺴﻤﻮﺍﺕ ﺳﻘﻔﺎ ﻣﺤﻔﻮﻇﺎ ﻭﺍﻟﺄﺭﺽ ﻓﺮﺍﺷﺎ } ﻭﺍﻧﺰﻝ ﻣﻦ ﺍﻟﺴﻤﺎﺀ ﻣﺎﺀ ﻓﺄﺧﺮﺝ ﺑﻪ ﻣﻦ ﺍﻟﺜﻤﺮﺍﺕ ﺭﺯﻗﺎ ﻟﻜﻢ } ﻣﺎ ﺑﻴﻦ ﺗﻤﺎﺭ ﻭﺯﺭﻭﻉ ﻣﺨﺘﻠﻔﺔ ﺍﻟﺄﻟﻮﺍﻥ ﻭﺍﻟﺄﺷﻜﺎﻝ ﻭﺍﻟﻄﻌﻮﻡ ﻭﺍﻟﺮﻭﺍﺋﻊ ﻭﺍﻟﻤﻨﺎﻓﻊ ﻭﺳﺨﺮ ﺍﻟﻔﻠﻚ ﺑﺄﻥ ﺟﻌﻠﻬﺎ ﻃﺎﻓﻴﺔ ﻋﻠﻰ ﺗﻴﺎﺭ ﻣﺎﺀ ﺍﻟﺒﺤﺮ ﺗﺠﺮﻯ ﻋﻠﻴﻪ ﺑﺄﻣﺮ ﺍﻟﻰ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺳﺨﺮ ﺍﻟﺒﺤﺮ ﻟﺤﻤﻠﻬﺎ ﻟﻴﻘﻄﻊ ﺍﻟﻤﺴﺎﻓﺮﻭﻥ ﺑﻬﺎ ﻣﻦ ﺇﻗﻠﻴﻢ ﺇﻟﻰ ﺇﻗﻠﻴﻢ ﺁﺧﺮ ﻟﺠﻠﺐ ﻣﺎ ﻫﻨﺎ ﺇﻟﻰ ﻫﻨﺎﻙ ﻭﻣﺎ ﻫﻨﺎﻙ ﺇﻟﻰ ﻫﻨﺎ ﻭﺳﺨﺮ ﺍﻟﻨﻬﺎﺭ ﺗﺸﻖ ﺍﻟﺄﺭﺽ ﻣﻦ ﻗﻄﺮ ﺇﻟﻰ ﻗﻄﺮ ﺭﺯﻗﺎ ﻟﻠﻌﺒﺎﺩ } ﻭﺳﺨﺮ ﻟﻜﻢ ﺍﻟﺸﻤﺲ ﻭﺍﻟﻘﻤﺮ ﺩﺍﺋﺒﻴﻦ } ﺃﻱ ﻳﺴﻴﺮﺍﻥ ﻻ ﻳﻔﺘﺮﺍﻥ ﻟﻴﻼ ﻭﻻ ﻧﻬﺎﺭﺍ } ﻻ ﺍﻟﺸﻤﺲ ﻳﻨﺒﻐﻲ ﻟﻬﺎ ﺃﻥ ﺗﺪﺭﻙ ﺍﻟﻘﻤﺮ ﻭﻻ ﺍﻟﻠﻴﻞ ﺳﺎﺑﻖ ﺍﻟﻨﻬﺎﺭ ﻭﻛﻞ ﻓﻲ ﻓﻠﻚ ﻳﺴﺒﺤﻮﻥ } { ﻳﻐﺸﻲ ﺍﻟﻠﻴﻞ ﺍﻟﻨﻬﺎﺭ ﻳﻄﻠﺒﻪ ﺣﺘﻴﺜﺎ } ﻓﺎﻟﺸﻤﺲ ﻭﺍﻟﻘﻤﺮ ﻳﺘﻌﺎﻗﺒﺎﻥ ﻭﺍﻟﻠﻴﻞ ﻭﺍﻟﻨﻬﺎﺭ ﻳﺘﻌﺎﺭﻇﺎﻥ ﻓﺘﺎﺭﺓ ﻳﺄﺧﺬ ﻫﺬﺍ ﻣﻦ ﻫﺬﺍ ﻓﻴﻄﻮﻝ ﺗﻢ ﻳﺄﺧﺬ ﺍﻟﺄﺧﺮ ﻣﻦ ﻫﺬﺍ ﻓﻴﻘﺼﺮ } ﻳﻮﻟﺞ ﺍﻟﻠﻴﻞ ﻓﻲ ﺍﻟﻨﻬﺎﺭ ﻭﻳﻮﻟﺞ ﺍﻟﻨﻬﺎﺭ ﻓﻲ ﺍﻟﻠﻴﻞ ﻭﺳﺨﺮ ﺍﻟﺸﻤﺲ ﻭﺍﻟﻘﻤﺮ ﻛﻞ ﻳﺠﺮﻯ ﻟﺄﺟﻞ ﻣﺴﻤﻰ ﺃﻻ ﻫﻮ ﺍﻟﻌﺰﻳﺰ ﺍﻟﻐﻔﺎﺭ } ﻭﻗﻮﻟﻪ : { ﻭﺁﺗﺎﻛﻢ ﻣﻦ ﻛﻞ ﻣﺎ ﺳﺄﻟﺘﻤﻮﻩ } ﻳﻘﻮﻝ : ﻫﻴﺂ ﻟﻜﻢ ﻛﻞ ﻣﺎ ﺗﺤﺘﺎﺟﻮﻥ ﺇﻟﻴﻪ ﻓﻲ ﺟﻤﻴﻊ ﺁﺣﻮﺍﻟﻜﻢ ﻣﻤﺎ ﺗﺴﺄﻟﻮﻧﻪ ﺑﺤﺎﻟﻜﻢ ﻭﻗﺎﻟﻜﻢ . ﻭﻗﺎﻝ ﺑﻌﺾ ﺍﻟﺴﻠﻒ : ﻣﻦ ﻛﻞ ﻣﺎ ﺳﺄﻟﺘﻤﻮﻩ ﻭﻣﺎ ﻟﻢ ﺗﺴﺄﻟﻮﻩ ﻭﻗﻮﻟﻪ : { ﻭﺇﻥ ﺗﻌﺪﻭﺍ ﻧﻌﻤﺔ ﺍﻟﻰ ﻻ ﺗﺤﺼﻮﻫﺎ } ﻳﺨﺒﺮ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻋﻦ ﻋﺠﺰ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻋﻦ ﺗﻌﺪﺍﺩ ﺍﻟﻨﻌﻢ ﻓﻀﻼ ﻋﻦ ﺍﻟﻘﻴﺎﻡ ﺑﺸﻜﺮﻫﺎ ﻛﻤﺎ ﻗﺎﻝ ﻃﻠﻖ ﺑﻦ ﺣﺒﻴﺐ C : ﺇﻥ ﺣﻖ ﺍﻟﻰ ﺃﺗﻘﻞ ﻣﻦ ﺃﻥ ﻳﻘﻮﻡ ﺑﻪ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻭﺇﻥ ﻧﻌﻢ ﺍﻟﻰ ﺃﻛﺜﺮ ﻣﻦ ﺃﻥ ﻳﺤﺼﻴﻬﺎ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩ ﻭﻟﻜﻦ ﺍﺻﺤﺒﻮﺍ ﺗﺎﺋﺒﻴﻦ ﻭﺃﻣﺴﻮﺍ ﺗﺎﺋﺒﻴﻦ . ﻭﻓﻲ ﺻﺤﻴﺢ ﺍﻟﺒﺨﺎﺭﻯ ﺃﻥ ﺭﺳﻮﻝ ﺍﻟﻰ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻛﺎﻥ ﻳﻘﻮﻝ : " ﺍﻟﻠﻪﻡ ﻟﻚ ﺍﻟﺤﻤﺪ ﻏﻴﺮ ﻣﻜﻔﻲ ﻭﻻ ﻣﻮﺩﻉ ﻭﻻ ﻣﺴﺘﻐﻨﻰ ﻋﻨﻪ ﺭﺑﻨﺎ " . ﻭﻗﺪ ﺭﻭﻱ ﻓﻲ ﺍﻟﺄﺗﺮ ﺃﻥ ﺩﺍﻭﺩ ﻋﻠﻴﻪ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﻗﺎﻝ : ﻳﺎ ﺭﺏ ﻛﻴﻒ ﺃﺷﻜﺮﻙ ﻭﺷﻜﺮﻯ ﻟﻚ ﻧﻌﻤﺔ ﻣﻨﻚ ﻋﻠﻲ ؟ ﻓﻘﺎﻝ ﺍﻟﻰ ﺗﻌﺎﻟﻰ : ﺍﻻﻥ ﺷﻜﺮﺗﻨﻲ ﻳﺎ ﺩﺍﻭﺩ ﺃﻱ ﺣﻴﻦ ﺍﻋﺘﺮﻓﺖ ﺑﺎﻟﺘﻘﺼﻴﺮ ﻋﻦ ﺃﺩﺍﺀ ﺷﻜﺮ ﺍﻟﻤﻨﻌﻢ . ﻭﻗﺎﻝ ﺍﻟﻴﻤﺎﻡ ﺍﻟﺸﺎﻓﻌﻲ C : ﺍﻟﺤﻤﺪ ﺍﻟﻰ ﻻ ﻳﻮﺩﻯ ﺷﻜﺮ ﻧﻌﻤﺔ ﻣﻦ ﻧﻌﻤﻪ ﺇﻻ ﺑﻨﻌﻤﺔ ﺣﺎﺩﺋﺔ ﺗﻮﺟﺐ ﻋﻠﻰ ﻣﻮﺩﻳﻬﺎ ﺷﻜﺮﻩ ﺑﻬﺎ ﻭﻗﺎﻝ ﺍﻟﻘﺎﺋﻞ ﻓﻲ ﺫﻟﻚ : .

ﻟﻮ ﻛﺎﻥ ﺟﺎﺭﺣﺔ ﻣﻨﻲ ﻟﻬﺎ ﻟﻐﺔ ... ﺗﺘﻨﻲ ﻋﻠﻴﻚ ﺑﻤﺎ ﺃﻭﻟﻴﺖ ﻣﻦ ﺣﺴﻦ .

ﻟﻜﺎﻥ ﻣﺎ ﺯﺍﺩ ﺷﻜﺮﻯ ﺇﺫ ﺷﻜﺮﺕ ﺑﻪ ... ﺇﻟﻴﻚ ﺃﺑﻠﻎ ﻓﻲ ﺍﻟﺤﺴﺎﻥ ﻭﺍﻟﻤﻨﻦ